الإيمان بالكتب

تأليف الشيخ: محمد بن إبراهيم الحمد

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله-صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً كثيراً-.

أما بعد:

فهذه نبذة يسيرة عن الإيمان بالكتب، يلقى من خلالها نظرة عامة حول هذا الموضوع، وذلك من خلال الآتي:

- **تعريف الكتب لغة وشرعاً.**
- **ما يتضمن الإيمان بالكتب.**
- **أهمية الإيمان بالكتب.**
- **أدلة الإيمان بالكتب.**
- **الغاية من إنزال الكتب.**
- **مواضع الاتفاق بين الكتب السماوية.**
- **مواضع الاختلاف بين الكتب السماوية.**
- **منزلة القرآن من الكتب المتقدمة.**
- **التوراة.**
- **التوراة الموجودة اليوم.**
- **الإنجيل.**
- **الإنجيل بعد عيسى-عليه السلام-.**
- **هل يسوغ لأحد اتباع التوراة أو الإنجيل بعد نزول القرآن ؟.**

- **ثمرات الإيمان بالكتب.**
- **ما يضاد الإيمان بالكتب.**
- **الطوائف التي ضلت في باب الإيمان بالكتب.**

فلعل هذه الصفحات تعطي صورة عامة لهذا الباب.

وأخيراً أسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

محمد بن إبراهيم الحمد

الزلفي ص.ب: ٤٦٠

www.toislam.net

تعريف الكتب لغة وشرعاً

الكتب في اللغة: جمع كتاب بمعنى مكتوب، مثل فراش بمعنى مفروش، وإله بمعنى مألوه، وغراس بمعنى مغروس.

ومادة (كتب) تدور حول الجمع والضم، وسمي الكاتب كاتباً؛ لأنه يجمع الحروف ويضم بعضها إلى بعض.

ومنه الكتيبة من الجيش سميت كتيبةً؛ لاجتماعها، وانضمام بعضها إلى بعض، ومنه تسمية الخياط كاتباً؛ لأنه يجمع أطراف الثوب إلى بعض، كما في مقامات الحريري[1]، حيث قال ملغزاً:

وكاتبين وما خطت أناملهم حرفاً ولا قرأوا ما خط في الكتب

ويَقْصدُ بهم الخياطين.

أما في الشرع: «فالمراد بها الكتب التي أنزلها الله-تعالى-على رسله؛ رحمة للخلق، وهداية لهم؛ ليصلوا بها إلى سعادة الدنيا والآخرة»[2].

---

(١) مقامات الحريري، ص٢٨٦، دار صادر وانظر مادة كتب في لسان العرب.

(٢) رسائل في العقيدة للشيخ محمد بن عثيمين، ص٢٣.

ما يتضمن الإيمان بالكتب[1]

١ـالإيمان بأنها أنزلت من عند الله حقًّا.

٢ـالإيمان بما علمنا اسمه منها باسمه كالقرآن الذي نُزِّل على محمدﷺ والتوراة التي أُنزلت على موسىﷺ والإنجيل الذي نزل على عيسىـعليه الصلاة والسلامـوالزبور الذي أوتيه داودـعليه السلامـ.

وأما ما لم نعلمه من الكتب المنزلة فنؤمن به إجمالاً.

٣ـتصديق ما صح من أخبارها، كأخبار القرآن، وأخبار ما لم يبدل، أو يحرف من الكتب السابقة.

٤ـالعمل بما لم ينسخ منها، والرضا، والتسليم به، سواء فهمنا حكمته أم لم نفهمها.

وجميع الكتب السابقة منسوخة بالقرآن العظيم، قال‌ـتعالى‌ـ: ﴿**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ**﴾ (المائدة: ٤٨).

أي حاكماً عليه، وعلى هذا فلا يجوز العمل بأي حكم من أحكام الكتب السابقة إلا ما صح وأقره القرآن.

---

(1) انظر المصدر السابق، ٢٣.

أهمية الإيمان بالكتب

الإيمان بالكتب أصل من أصول العقيدة، وركن من أركان الإيمان، ولا يصح إيمان أحد إلا إذا آمن بالكتب التي أنزلها الله على رسله-عليهم السلام-.

وقد أثنى الله-عز وجل-على الرسل الذين يبلغون عن الله رسالاته فقال-عز وجل-: ﴿ **الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلاَّ اللَّهَ** ﴾ (الأحزاب: ٣٩).

كما أخبر-سبحانه-أن الرسولﷺ والمؤمنون آمنوا بما أنزل من عند الله من كتب، قال-تعالى-﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ** ﴾ (البقرة: ٢٨٥).

ومما يدل على أهميته أن الله أمر المؤمنين بأن يؤمنوا بما أنزله كما في قوله-تعالى-: ﴿ **قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** ﴾ (البقرة: ١٣٦).

ومما يدل على أهميته أن الله أهلك الأمم بسبب تكذيبهم برسالاته، كما أخبر الله عن صالح بقوله: ﴿ **فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ** ﴾ (الأعراف: ٧٩).

كذلك من أنكر شيئاً مما أنزل الله فهو كافر كما قال-تعالى-: ﴿ **وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً** ﴾ (النساء: ١٣٦).

أدلة الإيمان بالله

لقد تظاهرت الأدلة من الكتاب والسنة على الإيمان بالكتب فمن ذلك قوله-تعالى-: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِنْ قَبْلُ**﴾ (النساء: ١٣٦) وقوله-تعالى-: ﴿**وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ**﴾ (الشورى: ١٥).

وقال-عليه الصلاة والسلام-كما في حديث جبريل المشهور عندما سأله عن الإيمان قال: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله**» الحديث[١].

الغاية من إنزال الكتب[٢]

أنزلت الكتب السماوية كلُّها لغايةٍ واحدةٍ، وهدف واحد وهو أن يُعْبَدَ الله وحده لا شريك له، ولتكون منهج حياة للبشر الذين يعيشون في هذه الأرض، تقودهم بما فيها من هداية إلى كل خير، ولتكون روحاً ونوراً تحيي نفوسهم، وتكشف ظلماتها، وتنير لهم دروب الحياة كلها.

---

(1) رواه البخاري (٥٠) ومسلم (٨).

(2) انظر الرسل والرسالات، ص٢٣٥، د. عمر الأشقر.

مواضع الاتفاق بين الكتب السماوية[1]

تتفق الكتب السماوية في أمور عديدة منها:

١ـوحدة المصدر: فمصدرها واحد؛ فهي منزلة من عند الله، قال ـتعالى ـ: ﴿ **الم (١) اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (٢) نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ (٣) مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ** ﴾ (آل عمران: ١ـ٤).

٢ـوحدة الغاية: فالكتب السماوية غايتها واحدة، فهي كلها تدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وإلى دين الإسلام؛ فالإسلام هو دين جميع الرسل، قال ـتعالى ـ ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ** ﴾ (النحل: ٣٦).

وقال ـتعالى ـ: ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ** ﴾ (آل عمران: ١٩).

والإسلام هو الدين الذي أُمِر به إبراهيم ـعليه السلام ـ ﴿ **إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ (البقرة: ١٣١).

وقال موسى ـعليه السلام ـلقومه: ﴿ **يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ** ﴾ (يونس: ٨٤).

والحواريون قالوا لعيسى ـعليه السلام ـ: ﴿ **آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** ﴾ (آل عمران: ٥٢).

فالغاية ـإذاًـ هي الدعوة إلى دين الإسلام، وإلى عبادة الله وحده لا شريك له.

٣ـمسائل العقيدة: فالكتب اشتملت على الإيمان بالغيب، ومسائل العقيدة، كالإيمان بالرسل، والبعث والنشور، والإيمان باليوم الآخر إلى غير ذلك.

---

(1) انظر المرجع السابق، ص٢٣٥، ٢٤٣، ٢٤٩.

فمسائل العقيدة من باب الأخبار التي لا تنسخ.

٤ـالقواعد العامة: فالكتب السماوية تقرر القواعد العامة، التي لابد أن تعيها البشرية؛ كقاعدة الثواب والعقاب، وهي أن الإنسان يحاسب بعمله، فيعاقب بذنوبه وأوزاره، ولا يؤاخذ بجريرة غيره، ويثاب بسعيه، وليس له سعي غيره كما قالـتعالىـ ﴿ **أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى (٣٦) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى (٣٧) أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى (٣٨) وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَى** ﴾ (النجم: ٣٦ـ٤١).

ومن ذلك الحث على تزكية النفس، وبيان أن الفلاح الحقيقي لا يتحقق إلا بتزكية النفس بالطاعة لله، والعبودية له، وإيثار الآجل على العاجل.

قالـتعالىـ: ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (١٥) بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (١٧) إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى** ﴾ (الأعلى: ١٤ـ١٩).

ومن تلك القواعد أن الذي يستحق وراثة الأرض هم عباد الله الصالحون؛ ﴿ **وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِي الصَّالِحُونَ** ﴾ (الأنبياء: ١٠٥).

ومن ذلك أن العاقبة للتقوى وللمتقين، كما قالـتعالىـ: ﴿ **وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى** ﴾ (طه: ١٣٢)، وقال: ﴿ **وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ (الأعراف: ١٢٨).

٥ـالعدل والقسط: وهذا من مواطن الاتفاق؛ فجميع الأنبياءـعليهم السلامـحملوا ميزان العدل والقسط، قالـتعالىـ: ﴿ **لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمْ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ** ﴾ (الحديد: ٢٥).

٦ـمحاربة الفساد والانحراف: وهذا ما اتفقت عليه الرسالات؛ سواء كان الفساد عقدياً أو خلقياً، أو انحرافاً عن الفطرة، أو عدواناً على البشر، أو تطفيفاً في الكيل والميزان، أو غير ذلك.

٧ـالدعوة إلى مكارم الأخلاق: فالكتب كلها دعت إلى مكارم الأخلاق، كالعفو

عن المسيء، وكالصبر على الأذى، وكالقول الحسن، وبر الوالدين، والوفاء بالعهد، وصلة الأرحام، وإكرام الضيف، والتواضع، والعطف على المساكين، إلى غير ذلك من مكارم الأخلاق.

٨ـ**كثير من العبادات:** فكثير من العبادات التي نقوم بها كانت معروفة عند الرسل وأتباعهم، كالصلاة، والزكاة، قال ـ تعالى ـ: ﴿ **وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَةِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ** ﴾ (الأنبياء: ٧٣).

وإسماعيل ـ عليه السلام ـ ﴿ **وكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ** ﴾ (مريم: ٥٥)، وقال الله لموسى ـ عليه السلام ـ ﴿ **فَاعْبُدْنِي وَأَقِمْ الصَّلاةَ لِذِكْرِي** ﴾ (طه: ١٤)، وقال عيسى ـ عليه السلام ـ: ﴿ **وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً** ﴾ (مريم: ٣١).

والصوم ـ كذلك ـ مفروض علينا كما هو مفروض على من قبلنا، قال ـ تعالى ـ: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ** ﴾ (البقرة: ١٨٣).

والحج كذلك، كما في قول الله ـ تعالى ـ لإبراهيم ـ عليه السلام ـ ﴿ **وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً** ﴾ (الحج: ٢٧).

وقد جعل الله لكل أمة مناسكها وعبادتها، قال ـ عز وجل ـ: ﴿ **وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكاً لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ** ﴾ (الحج: ٣٤).

مواضع الاختلاف [1]

تختلف الكتب السماوية في الشرائع، فشريعة عيسى تخالف شريعة موسى ـ عليهما السلام ـ في بعض الأمور، وشريعة محمد ﷺ تخالف شريعة موسى وعيسى ـ عليهما السلام ـ في أمور.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ **لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً** ﴾ (المائدة: ٤٨).

وليس معنى ذلك أن الشرائع تختلف اختلافاً كلياً؛ فالناظر في الشرائع يجد أنها متفقة في المسائل الأساسية، وقد مر بنا شيء من ذلك، فالاختلاف بينها إنما يكون في التفاصيل.

فعدد الصلوات، وأركانها، وشروطها، ومقادير الزكاة، ومواضع النسك، ونحو ذلك ـ قد تختلف من شريعة إلى شريعة، وقد يُحِل الله أمراً في شريعة لحكمة، ويحرمه في شريعة أخرى لحكمة يعلمها ـ عز وجل ـ ولا يلزم أن نعلمها، ومن الأمثلة على ذلك مايلي:

١ ـ الصوم: فقد كان الصائم يفطر في غروب الشمس، ويباح له الطعام، والشراب، والنكاح إلى طلوع الفجر ما لم ينم، فإن نام قبل الفجر حرم عليه ذلك كله إلى غروب الشمس من اليوم الثاني، فخفف الله عن هذه الأمة، وأحله من الغروب إلى الفجر، سواءً نام أم لم ينم، قال ـ تعالى ـ: ﴿ **أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنْ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنْ الْفَجْرِ** ﴾ (البقرة: ١٨٧).

---

(1) انظر الرسل والرسالات، ص٢٥٠.

٢ـستر العورة حال الاغتسال: لم يكن واجباً عند بني إسرائيل، ففي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم: **«كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى بعض، وكان موسى يغتسل وحده»**[1].

٣ـالأمور المحرمة: فمما أحله الله لآدم تزويج بناته من بنيه، ثم حرم الله هذا بعد ذلك.

وكان التسري على الزوجة مباحاً في شريعة إبراهيم، وقد فعله إبراهيم في هاجر لما تسرى بها على سارة.

وقد حرَّم الله مثل هذا على بني إسرائيل في التوراة.

وكذلك الجمع بين الأختين كان سائغاً، وقد فعله يعقوب فتزوج بابنتي خاله: ليَّا، وراحيل؛ وهما أختان ثم حُرِّمَ عليهم في التوراة.

ومما حرَّمه الله على اليهود ما قصه علينا في سورة الأنعام، قال ـتعالى ـ: ﴿ **وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنْ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ** ﴾ (الأنعام: ١٤٦).

ثم جاء عيسى ـعليه السلام ـفأحل لبني إسرائيل بعض ما حرم عليهم.

وجاءت الشريعة الخاتمة لتكون القاعدة: إحلال الطيبات وتحريم، الخبائث.

ومما تميزت به الشريعة الخاتمة أنها عامة لجميع الناس إلى قيام الساعة، بخلاف الشرائع الأخرى، فهي خاصة بقوم دون قوم، أو فترة دون فترة.

(1) البخاري ـالفتح (٢٧٨)، مسلم (٣٣٩).

منزلة القرآن من الكتب المتقدمة [1]

القرآن آخر الكتب السماوية وهو خاتمها، وهو أطولها، وأشملها، وهو الحاكم عليها.

قال الله-تعالى-: ﴿ **وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ** ﴾ (المائدة: ٤٨).

وقال-تعالى-: ﴿ **وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ (يونس: ٣٧).

وقال: ﴿ **مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﴾ (يوسف: ١١١).

قال أهل التفسير في قوله-تعالى-﴿ **وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ** ﴾: مهيمناً وشاهداً على ما قبله من الكتب، ومصدقاً لها؛ يعني يصدق ما فيها من الصحيح، وينفي ما وقع فيها من تحريف، وتبديل، وتغيير، ويحكم عليها بالنسخ أو التقرير.

ولهذا يخضع له كل متمسك بالكتب المتقدمة ممن لم ينقلب على عقبيه كما قال-تبارك وتعالى-: ﴿ **الَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ (٥٢) وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ** ﴾ (القصص: ٥٢، ٥٣).

فالقرآن هو رسالة الله لجميع الخلق، وقد تكفل-سبحانه-﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾ (الحجر: ٩).

ولا يقبل الله من أحد ديناً إلا ما جاء في هذا القرآن العظيم.

---

(1) انظر: أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة للشيخ حافظ الحكمي، ص٨١-٨٢؛ السؤال رقم ٨٠.

قال الشيخ ابن سعدي-رحمه الله-في قوله-تعالى-: ﴿وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ﴾ :«أي مشتملاً على ما اشتملت عليه الكتب السابقة وزيادة في المطالب الإلهية، والأخلاق النفسية؛ فهو الكتاب الذي يتبع كل حق جاءت به الكتب، فأمر به، وحث عليه، وأكثر من الطرق الموصلة إليه.

وهو الكتاب الذي فيه نبأ السابقين واللاحقين، وهو الكتاب الذي فيه الحكم والحكمة، والأحكام الذي عرضت عليه الكتب السابقة، فما شهد له بالصدق فهو المقبول، وما شهد له بالرد فهو مردود قد دخله التحريف والتبديل، وإلا لو كان من عند الله لم يخالفه»[١].

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لابن سعدي ٤٩٠/١.

التوراة

التوراة هي الكتاب الذي أنزله الله على موسى ـ عليه السلام ـ والتوراة كتاب عظيم اشتمل على النور والهداية كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ** ﴾ (المائدة : ٤٤).

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ **ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَاماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ** ﴾ (الأنعام : ١٥٤).

وكثيراً ما يقرن الله ـ عز وجل ـ في القرآن بين التوراة والقرآن؛ وذلك لأنهما أفضل كتابين أنزلهما الله على خلقه.

هذه باختصار هي حقيقة التوراة التي أنزلت على موسى ـ عليه السلام ـ.

التوراة الموجودة اليوم[1] :

أما التوراة الموجودة اليوم فهي ما يطلق على الشريعة المكتوبة، كما يطلق لفظ (التلمود) على الشريعة الشفهية.

والتوراة الموجودة اليوم تشتمل على خمسة أسفار وهي :

١ ـ سفر التكوين : ويتحدث هذا السفر عن خلق العالم، وظهور الإنسان، وطوفان نوح، وولادة إبراهيم إلى موت يوسف ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

٢ ـ سفر الخروج : ويتحدث عن حياة بني إسرائيل في مصر، منذ أيام يعقوب إلى خروجهم إلى أرض كنعان مع موسى ويوشع بن نون.

٣ ـ سفر اللاويين : نسبة إلى لاوي بن يعقوب، وفي هذا السفر حديث عن

---

(1) انظر : مقارنة بين القرآن والتوراة لمحمد الصوياني.

الطهارة، والنجاسة، وتقديم الذبائح، والنذر، وتعظيم هارون وبنيه.

٤ـسفر العدد: يحصي قبائل بني إسرائيل منذ يعقوب، وأفرادَهم ومواشيهم.

٥ـسفر التثنية: وفيه أحكام، وعبادات، وسياسة، واجتماع، واقتصاد، وثلاثة خطابات لموسى ـعليه السلام ـ.

هذه هي التوراة الموجودة اليوم، وكل عاقل منصف ـفضلاً عن المسلم المؤمن ـيعلم براءة التوراة التي أنزلها الله على موسى ـعليه السلام ـمما هو موجود في التوراة اليوم، وذلك لأمور عديدة منها:

١ـما حصل للتوراة من الضياع والنسخ والتحريف والتدمير، فلقد حُرِّف فيها، وبُدِّل، وضاعت، وتعرضت لسبع تدميرات، منذ عهد سليمان ـعليه السلام ـ(٩٤٥) قبل الميلاد إلى أن حصل التدمير السابع عام ٦١٣م مما يدل على ضياعها وانقطاع سندها.

٢ـما تشتمل عليه من عقائد باطلة لا تمت إلى ما جاء به المرسلون بأدنى صلة.

٣ـاشتمالها على تنقص الرب ـجل وعلا ـوتشبيهه بالمخلوقين، ومن ذلك قولهم: «إن الله تصارع مع يعقوب ليلة كاملة فصرعه يعقوب».

ومن ذلك قولهم: «إن الله ندم على خلق البشر لما رأى من معاصيهم، وأنه بكى حتى رمد فعادته الملائكة».

تعالى الله عما يقول الظالمون علوّاً كبيراً.

٤ـاشتمالها على سب الأنبياء والطعن فيهم، ومن ذلك قولهم: «إن نبي الله هارون صنع عجلاً، وعبده مع بني إسرائيل».

وقولهم: «إن لوطاً شرب خمراً حتى سكر، ثم قام على ابنتيه فزنى بهما الواحدة تلو الأخرى».

وقولهم: «إن سليمان ـعليه السلام ـارتد في آخر عمره، وعَبَدَ الأصنام، وبنى لها

المعابد، إلى غير ذلك من مخازي إخوان القردة»[١].

٥ـاشتمالها على المغالطات والمستحيلات والمتناقضات.

٦ـأن المعركة التي قامت بين التوراة وحقائق العلم الحديث أثبتت ما في التوراة من الأخطاء العلمية.

ومن تلك الكتب التي تكلمت على هذا الموضوع كتابان هما: **(أصل الإنسان)** و **(التوراة والإنجيل والقرآن)** لعالم فرنسي اسمه **(موريس بوكاي)** حيث أثبت وجود أخطاء علمية في التوراة والإنجيل، وأثبت في الوقت نفسه عدم تعارض القرآن مع العلم الحديث وحقائقه، بل سجل شهادات تفوق سبق القرآنُ فيها العلمَ بألف وأربعمائة عام[٢].

---

(1) انظر: الرسل والرسالات، ١٠٤ـ ١٠٥.

(2) انظر: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم (لموريس بوكاي) ترجمة الشيخ حسن خالد.

الإنجيل

هو الكتاب العظيم الذي أنزله الله على عيسى-عليه السلام-متمماً للتوراة، ومؤيداً لها، وموافقاً لها في أكثر الأمور الشرعية، يهدي إلى الصراط المستقيم، ويبين الحق من الباطل، ويدعو إلى عبادة الله وحده دون من سواه.

هذا هو الإنجيل الذي أنزل على عيسى-عليه السلام-.

وبعد موت عيسى-عليه السلام-دخل التحريف الإنجيل فَغُيِّر فيه، وبدِّل، وزيد فيه، ونقص.

الإنجيل بعد عيسى-عليه السلام-:

الكتاب المقدس لدى النصارى يشمل التوراة والأناجيل، ورسائل الرسل.

وتسمى التوراة العهد القديم، وتسمى الأناجيل، ورسائل الرسل العهد الجديد.

فالعهد الجديد-إذاً-هو الذي يشتمل على أناجيلهم، والأناجيل المعتبرة عند النصارى أربعة هي:

١-إنجيل يوحنَّا. **٢-إنجيل مرقُس.**
٣-إنجيل متَّى. **٤-إنجيل لُوقا.**

وهناك أناجيل أخرى مثل إنجيل برنابا، وأناجيل أخرى أهملت.

هذا وقد بيَّن كثير من العلماء المسلمين قديماً وحديثاً ومن علماء النصارى الذين دخلوا في الإسلام، أو المتحررين منهم من ربقة التقليد-عدم صحة هذه الأناجيل الموجودة في أيدي النصارى، ووجهوا إليها انتقادات كثيرة، ومن هؤلاء شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله تعالى-في كتابه: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، وابن القيم-رحمه الله تعالى-في كتابه: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى.

ومن العلماء المحدثين الشيخ رحمة الله الهندي-رحمه الله تعالى-في كتابه: إظهار

الحق، والشيخ محمد أبو زهرة-رحمه الله تعالى-في كتابه: محاضرات في النصرانية، ومن علماء النصارى الذين أسلموا إبراهيم خليل أحمد كما في كتابه: محاضرات في مقارنة الأديان.

وفيما يلي إجمال لبعض الأمور التي تبين بطلان الأناجيل الموجودة بأيدي النصارى اليوم وعدم صحتها:

١-أن هذه الأناجيل التي بأيدي النصارى لم يُمْلِها عيسى-عليه السلام-ولم تنزل عليه وحياً، ولكنها كتبت بعده.

٢-ما وقع في الأناجيل من تلاعب النساخ، وتبديلهم وتحريفهم.

٣-اشتمالها على المتناقضات، والاختلافات، وقد أحصى الشيخ رحمة الله الهندي-في آخر كتابه إظهار الحق-أكثر من مائة اختلاف بين هذه الأناجيل.

٤-انقطاع السند في نسبتها لكتابها.

٥-اشتمالها على تنقص الرب-جل وعلا-وعلى نسبة القبائح للأنبياء-عليهم السلام-.

٦-اشتمالها على العقائد الباطلة المخالفة للنقل والعقل.

٧-تعارضها مع الحقائق العلمية، كما أثبت ذلك عدد من العلماء؛ منهم موريس بوكاي وقد مر معنا ذلك قريباً.

٨-زد على ذلك أن تلك الأناجيل-وبغض النظر عن كونها محرفة-تخلو من أي تصور محدد لنظام سياسي، أو اجتماعي، أو اقتصادي، أو علمي.

هل يسوغ لأحد اتباع التوراة أو الإنجيل بعد نزول القرآن ؟

لا يسوغ لأحد ذلك؛ للاعتبارات السابقة، ولأنها ـ وعلى فرض صحتها ـ كانت خاصة لأمة معينة، ولفترة محددة، ولأنها نسخت بالقرآن الكريم.

ومن هنا يتبين بطلان هذه الكتب، وعدم جواز العمل بها إلا ما أقره القرآن، ويتبين لنا ضلال اليهود والنصارى وبطلان مزاعمهم، كيف وقد قالﷺ :« **لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار** »[1].

ثمرات الإيمان بالكتب [2]

الإيمان بالكتب يثمر ثمراتٍ جليلةً منها :

١ـ العلم بعناية الله؛ حيث أنزل لكل قوم كتاباً يهديهم به.

٢ـ العلم بحكمة الله؛ حيث شرع لكل قوم ما يناسبهم، ويلائم أحوالهم.

٣ـ التحرر من زبالات أفكار البشر بهدي السماء.

٤ـ السير على طريقٍ مستقيمةٍ واضحةٍ لا اضطراب فيها ولا اعوجاج.

٥ـ الفرح بذلك الخير العظيم ﴿ **قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ** ﴾ (يونس : ٥٨).

٦ـ شكر الله على هذه النعمة العظيمة.

٧ـ التحرر من التخبط الفكري والعقدي.

(1) رواه مسلم (١٥٣.)

(2) انظر : رسائل في العقيدة الإسلامية، ص٢٣.

ما يضاد الإيمان بالكتب

يضاد الإيمان بالكتب تكذيبها، والكفر بها، وتحريفها.

كما يضادها: الإعراضُ عن القرآن، وادعاء نسخه، والتحاكم إلى غيره، وادعاء نقصه، ومضاهاته، ومعارضته.

الطوائف التي ضلّت في باب الإيمان بالكتب

هناك طوائف كثيرة ضلت في هذا الباب منها:

١ـ**اليهود:** وذلك بتكذيبهم للقرآن، وتكذيبُهم للقرآن هو في الحقيقة تكذيب لجميع الكتب السماوية.

٢ـ**النصارى:** يقال عنهم ما قيل عن اليهود، وقد مر الحديث عنهما.

٣ـ**الرافضة:** وذلك بادعائها أن القرآن ناقص ومحرّف، وأن القرآن الكامل مع الغائب الذي سيخرج في آخر الزمان من سرداب سامراء..!

ثم إنهم ضلوا في هذا الباب بسبب جعلهما في الجفر والجامعة مصدراً للتلقي عندهم.

وضلوا أيضاً في تأويل القرآن حيث أغرقوا في الباطنية في تأويله[١].

٤ـ**البابية والبهائية:** وذلك بادعائها نسخ القرآن الكريم، والشريعة الإسلامية بشريعة الباب والبهاء[٢].

٥ـ**التيجانية:** وذلك بتفضيلها أورادَها وأذكارَها ـكصلاة الفاتح ـعلى القرآن

(١) انظر الشيعة والسنة، لإحسان إلهي ظهير، ص٧٨، وانظر: بطلان عقائد الشيعة، لمحمد عبدالستار التونسي، ص٣٥، ومسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، د. ناصر القفاري ٢١٢/١ـ ٢١٥.

(٢) انظر البابية عرض ونقد، لإحسان إلهي ظهير، ص١٠٤ والبابية للكاتب، والبائية نقد وتحليل، لإحسان إلهي ظهير، ص٢٢٢ والبهائية للكاتب.

الكريم حيث قالوا: إن قراءة صلاة الفاتح مرة واحدة أفضل من قراءة القرآن ستة آلاف مرة[١].

٦ـغلاة الصوفية عموماً: وذلك بادعائهم العلم اللَّدُنِّي الذي يوحى إليهم، ويغنيهم عن القرآن كما يزعمون.

ثم إن مصدر التلقي عندهم ليس القرآن والسنة بل يقوم على الرؤى والأحلام، والكشف، وغير ذلك[٢] مما يخالف ما جاء في القرآن.

٧ـالنصيرية والدروز وسائر الفرق الباطنية: وذلك بانحرافهم في تأويل القرآن، وإغراقهم في التأويل الباطني، وإخراج القرآن عن معانيه وحقائقه الصحيحة، وكذلك ادعاء بعضهم نسخ الإسلام كما يقول علي ابن الفضل الباطني ـقبحه اللهـ :

تولي نبي بني هاشم وهذا نبي بني يعرب
لكل نبي مضى شرعةٌ وهذي شريعة هذا النبي
فقد حط عنا فروض الصلاة وفرض الصيام فلم نتعب

إلى آخر ذلك الكفر الصراح البواح[٣].

٨ـالمشرعون والقانونيون: الذين أعرضوا عن تحكيم القرآن، وعارضوه بزبالات أفكارهم، زاعمين أنه لا يناسب العصر الحديث، ولا يفي بحاجاته.

---

(١) انظر: التيجانية، لعلي الدخيل الله، ص١١٦ـ ١٢٣.

(٢) انظر: التصوف المنشأ والمصادر، لإحسان إلهي ظهير، ٢٦٠ـ ٢٧٥، وهذه هي الصوفية، للشيخ عبدالرحمن الوكيل، ص٧٠.

(٣) انظر: كشف أسرار الباطنية، لابن أبي الفضائل الحمادي اليمني، ص٥٠، والحركات الباطنية، د. محمد بن أحمد الخطيب، ص٦٦ و٣٤٩، والنصيرية، د. سهل الفيل، ص٨٧، والباكورة السليمانية في كشف أسرار الديانة النصيرية لسليمان الأذني، ص٤٨ـ ٥٠.

الفهرس